منهج المعتزلة في نشر الفكر الاسلامي) القرن الثاني الهجري(

جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الانسانية قسم التأريخ
المدرس الدكتور
نداء خضير جبر
led.nida.gebur@uobasrah.edu.iq
07727487690

الملخص :
يقوم منهج نشر الفكر الاسلامي على مرجعية الوحي المتمثلة في القران الكريم والسنة النبوية مع توظيف العقل بوصفه اداة للفهم والاستدلال وضبط الخطاب الفكري حيث اعتمد المعتزلة في نشر الفكر الاسلامي علئ المنهج العقلي الجدلي بوصفه اداة مركزية في عرض العقيدة والدفاع عنها مع التزامهم بالاطار العام للأسلام فقد قدموا العقل علئ ظاهر النص عند التعارض الظاهري معتبرين اياه وسيلة لفهم الوحي وتفسيره تفسيرا منسجم ا مع مبادئ التوحيد والتنزيه والعدل الألهي وانعكس ذلك في اعتمادهم التأويل العقلي للنصوص خاصة في القضايا العقدية الدقيقة وفي المجال الدعوي والفكري استخدم المعتزلة المناظرة و الحوار المنطقي لنشر أفكارهم داخل المجتمع الأسلامي و خارجه ولا سيما في مواجهة الفلسفات والديانات الأخرئ خلال العصر العباسي كما اسهموا في نشر الفكر الأسلامي عبر التأليف الكلامي المنهجي مؤسسين خطاب ا عقلاني ا منظم ا يهدف الئ أقناع النخب المثقفة والدفاع عن العقيدة الأسلامية بالحجة والبرهان.
الكلمات المفتاحية : الفكر الاسلامي المعتزلة العقل الاصول الدين اليهود النصارى الوعد والوعيد المنزلة بين المنزلتين .

The Mu'tazila Methodology in Spreading Islamic Thought (Second Century AH)

University of Basra - College of Education for Humanities - Department of History

Lecturer: Dr. Nada Khudair Jabr

Abstract

The Holy Quran and the Prophetic Sunnah serve as symbols of divine revelation, which is the foundation of the methodology used to propagate Islamic philosophy. Reason is used as a tool for comprehension, deduction, and intellectual discourse regulation. The Mu'tazila adhered to the broad framework of Islam while articulating and defending doctrine primarily via the use of the logical dialectical

approach. As a way to comprehend and interpret revelation in a way that was consistent with the ideas of monotheism, divine transcendence, and divine justice, they gave reasons precedence over the literal interpretation of scriptures where there appeared to be contradictions. This was reflected in their reliance on rational interpretation of texts, especially in subtle doctrinal issues. In the fields of da'wah (missionary work) and intellectual discourse, the Mu'tazila used debate and logical dialogue to spread their ideas within and outside the Muslim community, particularly in confronting other philosophies and religions during the Abbasid era. They also contributed to the spread of Islamic thought through The systematic composition of theological discourse established a rational and organized argument aimed at persuading intellectual elites and defending Islamic doctrine through reasoned argument and evidence.

Keywords: Islamic thought, Mu'tazilites, reason, principles, religion, Jews, Christians, promise and threat, intermediate position.

المقدمة

جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على فرق ظهرت ونشأت ضمن إطار المجتمع الإسلامي فرق برزت زمن الفتنة التي أصابت المسلمين بعد وفاة نبيها وبرز الاعتزال كفرقة اعتزلت قول جميع المسلمين في تقرير موقفها من أصحاب الذنوب فقالت بالوسط حسب رأيها فأسكنت أهل الذنوب درجة بين الإيمان والكفر في الدنيا والنار لهم في الآخرة مع موافقتها للفر ق بأن الإيمان أصل واحد لا يتبعض .

إن اية ظاهرة اجتماعية سواء أكانت عامة أم خاصة في الماضي أم في الحاضر لم تكن فرصة ظهورها على ساحة الواقع العملي متاحة ولا الطريق سالكا أمامها ألا ضمن جملة من العوامل الثقافية المتشابكة والمتداخلة. ولعل في مقدمة هذه العوامل هو الشعور بالحاجة إلى تلك الظاهرة للقيام بوظيفة ما داخل المجتمع ويأتي في سياق ذلك ايضا علاقة التأثر والتأثير المتبادلة بين الحضارات الانسانية المتجاورة والبعيدة بما في ذلك عمليات العطاء والأخذ والاقتباس والتقليد وتبادل الأفكار والخبرات شرط ان لا تبلغ هذه العمليات حدا كافيا لجعل أمة ما من الانصهار والذوبان في كيان أمة اخرى.

إن الفكر حاجة انسانية تطلبها وتفرضها اوضاع البشر المادية في حياتهم الاجتماعية وتفرزها هذه الاوضاع بصيغتها التي تكون عليها وليس هنالك في حياة البشر فكر عائم لا ينتمي إلى زمان ومكان محدودين بالضرورة .

قسم موضوع البحث الى ثلاث مباحث تناول المبحث الاول النشأة والظهور تعريف المعتزلة النشأة والظهور اسماء المعتزلة اما المبحث الثاني تناول اصول المعتزلة مبادى المعتزلة الدينية التوحيد العدل الوعد والوعيد المنزلة بين المنزلتين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما البحث الثالث تناول دور المعتزلة في نشر الفكر الاسلامي و مواجهة عقائد اليهود والنصارى .

المبحث الاول

النشأة والظهور

أولا : تعريف المعتزلة:

- الاعتزال لغ ويا : الاعتزال في اللغة: مأخوذة من: عزل اعتزله وتعزله وعزله أفرزه)(. عزلا وتعزل نحاه جانب ا فتنحى. قال تعالى:)ن ه م ع ن الس م ع ل م ع ن زول ون(معناه انهم لما سمعوا بالنجوم انعوا من السلو.

وت عازل القوم: اعتزل بعضهم عن بعض.

والمعزال: الراعي المنفرد والنازل ناحية من السفر والضعيف الأحمق

ومعازيل: من لا رمح معه والأعزال جمع ع ز ل الذي لا سلاح معه.

والأعزل: الرمل المنفرد المنقطع وسحاب لا مطر فيه.

واعتزل: أي تباعد. وك ل من عدل إلى جانب فهو معتزل)(.

والع زلة)بالضم(الانعزال والاعتزال يقال:)الع زلة عبادة(وكنت بمعزل عن كذا وكذا: أي كنت بموضع عزلة منه واعتزلت القوم: أي فارقتهم وتنحيت عنهم ومنه قول الشاعر

يا بيت عات ك ة الذي أت ع زل ح ذ ر العدى وب ه الفؤاد م وك ل)(.

وعلى ذلك فإن الاعتزال أو المعتزلة لفظ يدل في اللغة على التنحية والانفراد والضعف والانقطاع.

- الاعتزال اصط لاحا : اسم أطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري وسلكت منهج ا عقلي ا مجردا في بحث العقائد الإسلامية وقد خالفوا قول الأمة في مسألة مرتكب

الكبيرة وهم أصحاب واصل بن عطاء)(وعمرو بن عبيد() نشأ الاعتزال في البصرة في أواخر العصر الأموي وكانوا ي كن ون الك ره للأمويين لرفضهم مذهبهم واعتقادهم في القدر ولم يرضوا عن أحد من بني أمية ,سوى يزيد بن الوليد لاعتناقه مذهبهم وفي هذا الصدد يقول المؤرخين ان : "والمعتزلة تفضل في الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز")(.

ومع بداية ظهور الدولة العباسية نشطت حركة المعتزلة وذلك للتأييد الذي حظيت به من الخلفاء العباسيين ونجاحه في عهد المأمون)(الذي كان يميل إلى الأخذ بمعتقدات المعتزلة سيما موافقتهم على القول بخلق القرآن الكريم.

وظل تأييد الخلفاء العباسيين مستمر ا في أيام المأمون إلى عهد المتوكل)(حيث جعلوا مذهبهم عقيدة للدولة الأمر الذي هيأ للمعتزلة أن يبسطوا نفوذهم وسيطرتهم على جميع من خالفهم.

كما تكونت للمعتزلة مدرستان كبيرتان: مدرسة البصرة ومدرسة بغداد. وكان بين معتزلي البصرة ومعتزلي بغداد خلاف كبير في كثير من المسائل() وشغلت جو ا من النشاط الفكري عم الحاضرة العباسية والفكر الإسلامي آنذاك)(.

ثانيا : النشأة والظهور:

اختلف الباحثون في أصل تسمية المعتزلة إلى عدة أقوال فريق يرى أن هذه التسمية أطلقها خصومهم عليهم وهو ما أورده كتاب الفرق كالبغدادي والشهرستاني وغيرهم وهو يدل على أن لفظ "المعتزلة" هو للدلالة عن انفصالهم عن الجماعة واعتزالهم قول الأمة في مرتكب الكبيرة فهو بهذا الاعتبار اسم يتضمن نوع ا من الذم "فالمعتزلي هو المخالف والمنفصل")(.

دخل رجل على الحسن البصري)(فقال: يا إمام الدين! لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركن ا من الإيمان

ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاد ا فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر.

ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن: اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه معتزلة")(. ويقول البغدادي: إن واصل بن عطاء خرج عن قول جميع الأمة حينما جعل "الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه التي خالف بها أقوال الفرق قبله طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد بن باب كعبد صريخة أمة. فقال الناس فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمة. وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة")(.

وإلى ذلك يشير أيض ا الاسفراييني بقوله: "فطردهم – أي واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد – الحسن البصري من مجلسه فاعتزلوا بأتباعهم جانب ا من المسجد فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين... ولما أظهروا هذه المقالة هجرهم المسلمون وخذلوهم كما كان قد أوصى إليهم أسلافهم من الصحابة")(.

ويقول في موضع آخر: "فخالف في هذا القول جميع المسلمين واعتزل به دين المسلمين فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزل جانب ا مع أتباعه فسموا معتزلة لاعتزالهم مجلسه واعتزالهم قول المسلمين")(. وهنالك قول ينسب الاعتزال إلى عمرو بن عبيد وهو ما أورده ابن كثير حيث قال: "واعتزل – يعني عمرو بن عبيد – مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة")(, وإلى ذلك يشير العكبري عند ترجمته لعمرو بن عبيد: "عمرو بن عبيد البصري العابد الزاهد المعتزلي القدري صاحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته فلذا قيل المعتزلة")(سموا "معتزلة " لقول التابعي الجليل قتادة بن دعامة السدوسي)(.

وقال المقريزي: "وقيل الذي سماهم معتزلة قتادة بعد موت الحسن البصري وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعتزله في نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة")(.

فاختلاف الرواة في المنفصل عن الحسن البصري هل هو عمرو بن عبيد أم واصل بن عطاء والاختلاف فيمن أطلق عليهم هذا الاسم هل هو الحسن البصري أم قتادة السدوسي ! تدعو للنظر في الروايات والر اجح أن المنفصل هو واصل بن عطاء حينما طرده الحسن البصري عندما قال بالمنزلة بين المنزلتين)(.

ولكثرة الروايات الدالة على ذلك ومنها:

- أن من الروايات ما تشير صريحة أن "أول من تكلم في الاعتزال واصل بن عطاء")(وأن "رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري")(.
- وأن من الروايات ما تدل على أن مناظرة جرت بين عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء في بيان رأي واصل في المنزلة بين المنزلتين فمال عمرو بن عبيد إلى قول واصل() وهي بذلك تؤكد أن عمرو بن عبيد قد تحول إلى واصل بعد اعتزاله مجلس الحسن البصري. ومن ذلك ما أشار إليه الذهبي بقوله: "فانضم إليه عمرو واعتزلا حلقة الحسن فسموا المعتزلة")(.
- وما يزيد ذلك تأكيد ا ما أشار إليه المسعودي عن أحد أصولهم وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين فقال: "أما المنزلة بين المنزلتين – وهو الأصل الرابع – فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسق ا على حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه... وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال"

للأسباب التالية :

- أن قتادة قال شيئ ا قد حصل ومضى وهو ما دلت عليه ألفاظ الرواية "فأمهم وهو يظن أنهم حلقة الحسن". ثم قال: "إنما هؤلاء المعتزلة". وهذا يدل على أن قتادة كان يعرف سبب انفصالهم وأن إطلاق الاسم كان بعد تكون الفرقة.
- أن قتادة أمهم بالصلاة فلو كان الحسن على قيد الحياة لكان هو الذي يؤم المصلين ولكن بعد وفاته أصبح قتادة هو الذي يجلس مكان الحسن في حلقته وكانت له إمامة الصلاة)(.
- أن هناك من الروايات ما يؤكد أن بعض الشخصيات كانت ضمن حلقة الحسن البصري ويبدو أنها تحولت إلى رأي واصل بن عطاء بعد وفاة الحسن البصري منهم عثمان الطويل فقد ذكر ابن خلكان أن "عثمان الطويل قال: لقيت قتادة فقال: ما حبسك عن ا لعل هؤلاء المعتزلة حبستك عن ا قلت: نعم")(.
- أن هناك إشارة تدل على أن واصل بن عطاء قد بعث أتباعه إلى الأمصار)(وكان يوصيهم بأمور منها:
  1) الزم سارية من سواري المسجد س ن ة تصلي عندها حتى يعرف مكانك.
  2) أفتي بقول الحسن البصري في السنة الثانية.

فإذا كان واصل بن عطاء يوصي رسله بذلك فمن باب أولى أن يلتزم هو بذلك ولكونه لا يستطيع أن يفتي بقول الحسن البصري في حياته فمن الراجح أنه فعل ذلك بعد وفاته.

ولعل ما يثبت ذلك ما ذكره أبو العز الحنفي حين قال: "والمعتزلة هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري – رحمه الله – في أوائل المائة الثانية وكانوا يجلسون معتزلين فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة")(.

ويؤكد ذلك المقريزي بقوله: "وقيل: الذي سماهم معتزلة قتادة بعد موت الحسن البصري وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه اعتزله في نفر معه فسماهم قتادة المعتزلة")(.

ومما تقدم فإن المعتزلة لفظ أطلقه الحسن البصري على واصل بن عطاء لما قال بالمنزلة بين المنزلتين وفارق به رأي الأمة ولكن سرعان ما أصبح لها أتباع حتى شك لت فرقة لها رأيها ومعتقدها وبرزت بشكل واضح بعد موت الحسن البصري وهو ما أكده قتادة بن دعامة السدوسي على هذه الفئة حينما كرر لفظ المعتزلة عليهم وكانت بمعنى الانفصال والتنحية والمفارقة وهي من باب الذم.

وفريق يرى أن سبب تسميتهم بذلك يرجع إلى أصل سياسي وأن المعتزلة الدينية كانوا في الأصل استمرار ا في ميدان الفكر والنظر لفئة سياسية سبقتها في الظهور هي فئة المعتزلة السياسيين الذين ظهروا في حرب الجمل وصفين.

ومن ذلك ما أورده أبو الفداء من أن الأنصار بايعت علي ا إلا نفر ا قليلا "وسموا هؤلاء بالمعتزلة لاعتزالهم بيعة علي")(.

وما أشار إليه النوبختي بقوله: "لم ا ق تل عثمان بايع الناس علي ا فسموا الجماعة ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة أقامت على ولاية علي وفرقة اعتزلت مع سعد بن مالك وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد بن حارثة فإن هؤلاء اعتزلوا عن علي وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضا به فسموا المعتزلة وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد وقالوا: "لا يحل قتال علي ولا القتال معه")(.

ولعل هذا ما أكده المغيرة بن شعبة وكان ممن اعتزل القتال وذلك حينما التقى بالحكمين – أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص – فدخل على عمرو بن العاص فقال: "يا أبا عبد الله خبرني عم ا

أسألك عنه! كيف ترانا معشر المعتزلة فإنا قد شككنا في هذا الأمر الذي قد تبين لكم في هذا القتال ورأينا نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة على رجل فندخل في صالح ما دخلت عليه الأمة فقال عمرو: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار ومعشر الفجار...").(

ومن ذلك ما نراه أيض ا من إطلاق المؤرخين هذه الكلمة على الذين لم يدخلوا في النزاع فقد ذكر الطبري في حوادث سنة 36ه أن قيس بن سعد – عامل مصر من ق ب ل علي - كتب إليه يقول: "إن قبلي رجالا معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى وي رى رأيهم" وفي موضع آخر يقول: "ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهر ا كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم...").(

كما أن هناك نصوص تفيد أن هذه الفئة التي وقفت على الحياد في الحروب أطلقت على نفسها اسم "المعتزلة" أو أطلق عليها أسم "المعتزلة". من ذلك ما يذكره الملطي إذ يقول: "وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة").(

والواقع أنه لا يمكن اعتبار كل من اعتزل الحروب بين علي ومخالفيه سلف ا للمعتزلة حيث أبدى كثير منهم موقف ا معارض ا لآراء المعتزلة ومن ذلك:

- إن أقوال المعتزلة الكلامية ليس فيها ما يثبت الأصل السياسي لنشأتهم يقول كوربان: "إذا فك رنا ملي ا في مذهب الاعتزال وفي حرية الاختيار رأينا أن السياسة لا تشكل سبب ا كافي ا لنشوئها").(
- أنه لو اتضح أن هؤلاء الصحابة المعتزلين للفتنة كانوا أسلاف ا للمعتزلة لوجب اتفاقهم معهم في أصول مذهبهم ولما كان أحد أصول المعتزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بالسيف وما دونه لأوجب على الصحابة قتال معاوية في حين نجدهم اعتزلوا الفتنة.
- أن رأس المعتزلة واصل بن عطاء لم يكن مشايع ا للإمام علي بل إنه أدان الفريقين وقال بفسق إحدى الطائفتين.
- كما أن ممن اعتزل القتال من شايع معاوية كما هو الحال في معتزلة مصر ومنهم من استخدمه معاوية والي ا كالمغيرة بن شعبة في حين أجمع المعتزلة على معارضة الأمويين.

وبذلك فإنه من الخطأ جعل الصحابة سلف ا لهؤلاء المعتزلة لأن المعتزلة جعلوا الاعتزال منهج ا لهم في عبادة الله عز وجل بينما أولئك الصحابة فإنهم اعتزلوا الفتنة لا على التدين بالاعتزال ولكن طلب ا للسلامة وصون ا للدماء.

ومن جانب آخر فإنه من الممكن أن نجد صلة بين المعتزلة السياسيين والمعتزلة الكلاميين في الاشتراك اللغوي للفظ الاعتزال: الدال على الحياد أو تعليق الحكم الصادر بصدد رأيين مختلفين وهو ما تؤكده النصوص التي تشير إلى المعنى اللغوي منه ما جاء في كتب التفسير في قوله تعالى: ب ه م ك ان ا ق ص ي ا)(أن معنى (ف ان ت ب ذ ت ("أي تنحت به وبعدت معتزلة").وكذلك تفسير السعدي)ف ات خ ذ ت م ن د ون ه م ح ج اب ا)).أي ستر ا ومانع ا وهذا التباعد منها واتخاذ الحجاب لتعتزل وتنفرد بعبادة ربها. وفي موضع آخر في تفسير قوله تعالى:) ف ت م ث ل ل ه ا ب ش ر ا س و ي ا ( )قوله: "فلما رأته في هذا الحال وهي معتزلة عن أهلها منفردة عن الناس قد اتخذت الحجاب عن أعز الناس وهم أهلها").وكذلك ما ورد في فيض القدير أن ابن آدم إذا قرأ السجدة "اعتزل أي تباعد الشيطان").ومن الآراء حول أصل التسمية رأي الفرقة نفسها فقد أشار الملطي إلى أن المعتزلة هم من أطلق هذا الاسم على أنفسهم فقال: "وهم سموا أنفسهم معتزلة").وإذا كان الخصوم يريدون بذلك الاسم الذم نجد أن المعتزلة أنفسهم كانوا يقولون أنه اسم مدح لا ذم وهو ما ذكره الرازي على لسان القاضي عبد الجبار المعتزلي بقوله: "قال القاضي عبد الجبار – وهو

رئيس المعتزلة – كل ما ورد في القرآن من لفظ الاعتزال فإن المراد منه الاعتزال عن الباطل ف ع ل م أن اسم الاعتزال مدح").وتذهب المعتزلة على أنهم سموا معتزلة لأنهم "زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم يعنون أهل السنة والجماعة والخوارج").

ويورد ابن المرتضى الأدلة على صحة هذا الاسم فيقول: "ويحتجون للاعتزال أي لفضله بقوله ز ل ك م))(.وقوله تعالى:) و اه ج ر ه م ه ج ر ا ج م يلا ( ).وليس إلا بالاعتزال واحتجوا من السنة بقوله: "من اعتزل من الشر سقط في الخير").

كما يذكر ابن المرتضى دليلا آخر وهو حديث يذكره عثمان الطويل على لسان قتادة السدوسي عن الرسول بقوله: "رويت أن النبي قال: "ستفترق أمتي على فرق خيرها وأبرها المعتزلة").

ونخلص من هذا أن أسم المعتزلة قد أطلقه عليهم خصومهم بقصد الذم بينما يعده المعتزلة أنفسهم أسم مدح ويرتضون به لقب ا لهم وهو عندهم بمعنى الانفصال عن البدع وعن أهل الضلالة.

- أسماء المعتزلة:

للمعتزلة أسماء عديدة منها ما أطلقه خصومهم عليهم نكاية بهم ومنها ما أطلقوه هم على أنفسهم وارتضوه لقب ا لهم ومن هذه الأسماء:

1- القدرية: يلقب المعتزلة بالقدرية وفي ذلك يذكر البغدادي وهو يسوق ما أجمعت عليه المعتزلة: "وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل في إكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير. ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية"). والمعتزلة تجعل هذه التسمية مشتركة لأنهم قالوا:" من يقول بالقدر خيره وشره من الله أولى باسم القدرية منا وذلك لأن مثبت القدر أحق بأن ينسب إليه من نافيه").

2- الجهمية: وسبب تلقيبهم بهذا اللقب هو أن الجهمية اشتهرت ببعض الآراء التي وافقتها عليها المعتزلة كنفي الرؤية والصفات والقول بخلق القرآن فضلا عن التأويل العقلي واعتبار العقل مصدر المعرفة ولهذا يقول أبو العز الحنفي: "قتل جهم بخراسان ... ولكن قد فشت مقالته في الناس وتقلدها بعده المعتزلة")(,وبما أن الجهمية أسبق ومسائلها أكثر وبعض مسائل المعتزلة مأخوذة منها. لذا أصبح يطلق على كل معتزلي جهمي ولا يطلق على كل جهمي معتزلي). كما نجد أن أحمد بن حنبل قد صنف كتاب ا بعنوان الرد على الزنادقة والجهمية وهو يعني المعتزلة بذلك).

3- الوعيدية: وهو من قول المعتزلة بالوعد والوعيد وهو أحد الأصول التي يقوم عليها الاعتزال ومعناه: أن الله تعالى صادق في وعده كما هو صادق في وعيده وأنه لا يغفر الذنوب إلا بعد التوبة وهذا اللقب سماهم به أحد المرجئة في شعر قاله في هجاء أبي هاشم الجبائي:

يعيب الق ول بالإرج اء حتى يرى بعض الرجاء من الجرائر).

4- مشبهة الأفعال: سموا بذلك لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه وما يقبح من العباد يقبح منه).

5- المعطلة: وهذا اللقب اكتسبوه حينما أخذوا عن الجهمية الأولى قولها بنفي الصفات وبهذا عط لوا الله تعالى عن جميع صفاته. يقول الشهرستاني: "وقد قيل أن التعطيل ينصرف إلى وجوه شتى ... ومنها تعطيل الباري سبحانه عن الصفات والأسماء أزلا ومنها تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي دلت عليها").

ولهذا نجد أن ابن القيم قد وضع كتاب ا بعنوان "الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة" وهو يقصد الرد على المعتزلة).

6- مخانيث الخوارج: وسموا بذلك لأن الخوارج لم ا رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفره

وحاربوهم والمعتزلة رأت لهم الخلود في النار ولم تجرأ على تسميتهم كفرة ولا جرئت على قتالهم)(.

7- الثنوية والمجوسية: سموا بذلك لقولهم الخير من الله والشر من العبد. يقول المقريزي: "إن المعتزلة يدعون الثنوية لقولهم الخير من الله والشر من العبد")(.

المبحث الثاني

اصول المعتزلة

- مبادئ المعتزلة الدينية

للمعتزلة مبادئ وأصول خمسة يكادون أن يشتركوا فيها جميعا من خالفهم فيها فليس منهم ومن وافقهم فهو منهم)(. ولا يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بهذه الأصول وهي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)(.
قال القاضي عبد الجبار: »إن المكلف إذا عرف هذه الأصول يلزمه معرفة الفقه والشرع«)(.
وكانت هذه الأصول وليدة المناقشات التي كانت تقوم بينهم وبين مخالفيهم فالتوحيد للرد على المشبهة والمجسمة)(. والعدل كان للرد على الجهمية والوعد والوعيد للرد على المرجئة)(.
والمنزلة ردوا بها على الخوارج وخلاف المعتزلة مع الإمامية)(.

1- التوحيد:

ويقصد المعتزلة بالتوحيد نفي الصفات القديمة والدفاع عن وحدانية الله عز وجل)(. ووجهوا جهدهم الى تركيز حقيقة التوحيد في النفوس فقالوا بوحدة الذات والصفات أي أن ذات الله وصفاته شئ واحد وأنكروا أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته)(. ومضمون فكرتهم عن نفي الصفات أن الله واحد من كل وجه وهذا يعني أن صفاته ليست زائدة على ذاته حي بالذات قادر بالذات)(لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيا وإثباتا)(فمن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين)(. ومن أصول التوحيد عندهم أن الله ذات فقط وكل ما يطلق عليه من صفات ما هوالا وجه لذات واحدة بسيطة لا قسمة فيها ولا كثرة)(ويرى الشهرستانى:)أن القول بنفي الصفات لما بدأه واصل كان غير ناضج فهو قد شرع على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين أما المعتزلة الذين خلفوه فقد أخذوا يطالعون كتب الفلاسفة فتوسعوا في هذه المسألة( )(وقد وافق المعتزلة الفلاسفة على هذا القول)(.

واستبدل بعض المعتزلة لفظ »الصفات« كمعمر بن عباد السلمي)(واستعمل بدلها كلمة »المعانى« وسمي هو واتباعه »أصحاب المعاني«)(لفظ »الصفات« ودعاها »أحوالا« وقال: إذا قلنا أن الله عالم أثبتنا لله حالة خاصة هي العلم وهي وراء كونه ذاتا واذا قلنا أن الله قادر أثبتنا لله حالة خاصة هي القدرة وهي وراء كونه ذاتا وهكذا في سائر الصفات)(. وأجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شئ وليس بجسم وليس بذي جهات ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان ولا يوصف بشئ من صفات الخلق الدالة على حدوثهم وليس بمحدود ولا والد ولا مولود لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام لا تلحقه المضار ولا يصل اليه الأذى والآلام ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص)(وأن شيئا من الحواس لا يدركه في دنيا ولا في آخرة وأنه قديم وكل ما سواه محدث)(, وقد سبق الأشياء كلها بنفسه واستغني عنها بذاته فلا قديم إلا هو لا تحيط به العقول ولا تتصوره الأوهام يعلم ما يكون قبل أن يكون ويعلم ما كان وما سيكون وما لا يكون لو كان كيف يكون)(. ولما كان المعتزلة يعتقدون بوحدانية الله عز وجل وأن القدم أخص وصف لذاته الكريمة)(فإنهم حاربوا كل مذهب وكل قول يرون أنه يتعارض مع مبدأ الوحدانية)(. وأثار المعتزلة مسألة رؤية الله بالأبصار)(, وكان نفيهم للرؤية نفى استحالة)(, وكفر المعتزلة من يثبت الرؤية على سبيل المقابلة أو على اتصال شعاع الرائي بالمرئى)(, لأن القول برؤية الله تعالى هدم للتنزيه وتشويه لفكرة الله وتشبيهه والمشبه كافر بالله)(.

وأجمع المعتزلة على نفي الجهة من الله تعالى لأنهم اعتقدوا أن إثباتها يوجب إثبات)المكان والجسمية( )(وأولوا كل الآيات الدالة على الجهة وعلى الأعضاء وعلى مشابهة المخلوقات وكذلك فعلوا مع الآيات التي تدل على الجسمية كإثبات الوجه واليدين)(. واتفق المعتزلة على أن كلام الله مخلوق)(, وذلك لنفي وجود أي قديم سوى الذات الإلهية ومقاومة لما كان النصارى يفشونه بين المسلمين من القول بقدم الكلام إثباتا الألوهية المسيح الذي هو كلمة الله القديمة)(, ولأن القول بقدم كلام الله يجعله من صفاته والمعتزلة ترد جميع الصفات للذاته)(, وقالوا: إن القرآن يتقدم بعضه على بعض فلا يجوز أن يكون قديما إن القديم ما لا يتقدمه غيره)(. وكان بدء المحنة بالقول بخلق القرآن سنة)٢١٨ ه / ٨٣٣ م(إلى أن أفضت الخلافة العباسية إلى المتوكل على الله فأمر سنة)٢٣٤ه/ ٨٤٨ م(بترك النظر والمباحثة والجدال وترك ما عليه الناس في أيام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق من القول بخلق القرآن)(. وهذا أبرز أمر في تاريخ المعتزلة لما اتصل به من أحداث تاريخية واجتماعية وسياسية .

الع دل -2

وهو الأصل الثاني من أصولهم وأهمها و كان المعتزلة يفخرون به ويسمون أصحاب العدل والتوحيد)(. وأهل العدل والعدلية")(, والعدل على مذهب أهل الاعتزال هو ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة)(. وقالوا: إن الله يسير بالخلق الى غاية وإن الله يريد خير ما يكون لخلقه)(, ويعنون أيضا بالعدل نفي القدر والقول بأن الإنسان موجد أفعاله تنزيها لله عن أن يضاف له الشر)(. وقالوا: إن الحكيم لايفعل فعلا إلا لحكمة وغرض ولما تقدس الله تعالى عن الانتفاع تعين إنما يفعل لينفع غيره)(, وأن العدل من صفات الله والظلم والجور منفيان عنه)(, والعدل يتحقق في الزمان والله لم يزل عادلا ولكنه يطبق عدله عند ظهور الشر من الكائن العاقل المحدث المختار لأفعاله)(. .ومعنى هذا أن كل فعل من أفعاله الله تعالى لا يخلو من الصلاح والخير)(. فالله لا يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم)(, وأنه أحسن نظرا لعباده منهم لأنفسهم)(. وموقف المعتزلة من مسألة العدل يرتكز على تعريفهم لله بأنه ذات كاملة فهو لا يفعل إلا الأصح لعباده ويطبق عدله على من يستحقه)(وجميع ما يفعله الله بغيره عدل)(.
يقول الخياط: »إن الله هو الممرض المسقم لمن أمرضه وإن أحدا لم يمرض نفسه ولم يسقمها وهو المعيب للنبات والزرع من قحط وجدب ولكن ذلك كله لا يعد من قبله شرة أو فسادة فليس كل ما تكرهه النفس قبيحا وإنما القبيح ما كان ضررة خالصا أو عبثا وذلك كله من الله محال«)(.
وقد أدى ذلك إلى نظريتين مشهورتين هما: نظرية الصلاح والأصلح ونظرية الحسن والقبح العقليين)(.

وليس الأصلح هو الألذ وانما هو أجود في العاجلة وأصوب لأجل الآجلة)(. ونظرية المعتزلة في الحسن والقبح أنهم رأوا أن الحسن والقبح في الأعمال ذاتيان فجميع الأعمال الحسنة من عدل وصدق وشجاعة فيها نفسها صفة جعلتها حسنة والأعمال الحسنة من عدل وصدق وشجاعة فيها نفسها صفة جعلتها حسنة وجميع الأعمال القبيحة من ظلم وكذب فيها ذاتها صفة جعلتها قبيحة)(. فوجهة نظر المعتزلة فيها أن الاستطاعة قبل الفعل وهي قدرة عليه وعلى ضده وهي غير موجبة للعقل وأنكروا بأجمعهم أن يكلف الله عبدا ما لم يقدر عليه)(. ولابد من كون القادر على الشيئ قادر على ضده في الجنس)(. وأن قدرة الله وإرادته لا تؤثر على قدرة العبد وإرادته ولا يصح محاسبة الإنسان على أفعاله إلا إذا كان قادرة على فعلها أو الامتناع عنها)(.
وقالوا: إن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع ولاتقدير)(, وأن أفعال العباد ليست مخلوقة فيهم وإنما هم المحدثون لها)(, وأن من قال بأن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه)(. وتمسك المعتزلة بحرية إرادة الإنسان حتى لا ينسب الشر الخلقي الناتج عن علاقة الإنسان كالظلم إلى

الله)(, والرب منزه أن يضاف اليه شر وظلم لأنه لو خلق الظلم كان ظالمة كما لو خلق العدل كان عادلا)(.)10(ولو كان الكافر مجبرا على كفره لكان أمره بالإيمان تكليفا له بما لا يطيق)(,والعباد يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التي خلقها لهم وركبها فيهم فيطيعوا أو يتركوا المعاصى)(.

إن كل ما تولد من فعله مما يعلم كيفيته فهو من فعله فالألم الحادث عن الضرب من فعله أما الألوان والطعوم والبرودة والحرارة فكلها من فعل الله«)(. وقال ثمامة بن الأشرس: إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها والمعرفة متولدة من النظر وهي فعل لا فاعل له كسائر المتولدات)(. وكان النظام يربي أن : الإنسان لا يفعل إلا الحركة ولا يفعل الإنسان الحركة إلا في نفسه فأما في غيره فلا فإذا حرك يده فذلك فعله أما إذا رمى حجرة فتحرك الى فوق أو الى تحت فتحرك الحجر ليس فعل الإنسان وإنما هو من فعل الله وترتبط فكرة التولد بمبدأ الجزاء والمسئولية فموضوع التولد مثل من أمثلة التعمق الذي امتاز به المعتزلة هو يعني إثبات القدرة والارادة والاستطاعة للإنسان ونسبة أفعاله اليه ومن ثم اعتبار الجزاء من ثواب أو عقاب جزاء لما قدمته يد الإنسان المكلف من أعمال.)(.

3- الوعد والوعيد

الوعد هو: كل خير يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل أما الوعيد: فهو كل خير يتضمن ايصال ضرر الى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل)(. ويعني هذا المبدأ من مبادئ المعتزلة أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف والكذب)(. أي من أحسن عملا فيجازى بالحسان إحسانا ومن أساء يجازي بالإساءة عذابا أليما(وقد قصد المعتزلة الأثر النفسي الذي يحدثه مبدأ الوعد والوعيد)فإذا علم المذنب أي مرتكب الكبيرة أنه لا يعاقب على ذنبه بل عفي عنه لم ينزجر عن الذنب بل كان ذلك تقريرة له على ذنبه وعدم التوبة عنه وكان أغراء للغير عليه( )(. وقد وافق واصل بن عطاء وعمر بن عبيد الخوارج في تأبيد صاحب الكبيرة في النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر")(ويقول الشهرستاني حينما قررهذا الأصل من أصولهم: واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيد)(. وقد عبر عن هذا المعنى القاضى عبدالجبار في قوله)(. : »إن المكلف إذا عرف أنه مستحق الذم والعقاب على المعاصي ومستحق المدح والثواب على الطاعات كان ذلك أقرب الى اختيار الطاعات واجتناب المعصية كما عرف من النفع والضرر فيهما«. ورتبوا على ذلك أنه لا عفو عن كبيرة من غير توبة)(وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة وأنه صادق في وعده و وعيده)(.

ولما كانت الشفاعة يوم القيامة تتعارض مع إنجاز الوعيد وتحول دون عقاب من توعدهم الله بالعقاب)(فإنهم أنكروها وتأولوا الآيات الواردة في ثبوتها وتمسكوا بالآيات الواردة في نفيها)(, قال القاضى عبد الجبار: »من خالف في الوعد والوعيد وقال: إنه تعالى ما وعد المطيعين بالثواب ولا توعد العاصين بالعقاب فإنه يكون كافرا)(. ويمكن تلخيص النظرة المعتزلية إلى اليوم الآخر: أنه استحقاق وأعواض استحقاق الإنسان على طاعته الثواب وعلى معصيته العقاب وأعواض لغير المكلفين كالأطفال والحيوانات)(. والتعويض يكون على ضربين. اما بانتصاف المظلوم من الظالم أو يدفع البدل عن الفعل الشاق نحو استعمال الأجير وغيره)(. ويوضح المعتزلة أن عوض البهائم أنفع لها الى الحد الذي لو أدركت البهيمة واطلعت على ما تستحقه من عوض لتمنت لأجله تكرار الذبح حالا بعد حال)(.

4- المنزلة بين المنزلتين

يقول القاضى عبد الجبار)(. اذ قال: »أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر .
ويرى المسعودي)(. أن هذا الأصل نقطة البدء في تكوين المعتزلة فيقول: » وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين فهو أن الفاسق حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال«.
ويقول الاسفراييني)(. : »وما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إن حال الفاسق الملي منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا هو كافر وإن هو خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلداً في النار«.
وفي إطار هذا الأصل كان الخلاف مع المرجئة من جانب و الخوارج من جانب آخر وذهب المعتزلة أيضا إلى القول بأن مرتكب الكبيرة الذي لم يتب يكون مسأله في الآخرة التخليد في النار وان يكن في درجة أخف من درجة الكفار)(. وقد جعل المعتزلة فكرة المنزلة بين المنزلتين خطة للاعتدال في الأمور والتوسط بين المتطرفين)(. ويرى البعض أن: مبدأ المنزلة بين المنزلتين هو الخطوة الأولى في ظهور المعتزلة وتميزها كاستمرار في ميدان الفكر والنظر)(. وهذا المبدأ هو سبب الخلاف بين الحسن البصري وواصل بن عطاء ذلك الخلاف الذي تبلورت على أثره مدرسة المعتزلة كمدرسة مستقلة ورثت كل تقاليد القائلين بالعدل والتوحيد في تراث المسلمين)(.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذا هو الأصل الخامس من أصول المعتزلة ويرى المعتزلة أنه لا خلاف في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)(. وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب إن كفي وباللسان إن لم يكف القلب وباليد إن لم يغننا اللسان وبالسيف ان لم تكف اليد)(. لقوله تعالى: »و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ الى أمر الله«)(. فالله أمر بإصلاح ذات البين أولا ثم بعد ذلك بما يليه الى أن انتهى إلى المقاتلة)(. .يقول ابن حزم)(. : »ذهب المعتزلة إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك«. وكان المعتزلة يعتقدون أنه لا فرق في باب المناكير بين أن تكون من أفعال القلوب وبين أن تكون من أفعال الجوارح في أنه يجب النهي عنها إذ النهى عنها وجب لقبحها والقبح يعمها)(. وقد حكى الأصفهاني)(. أن عبد الكريم بن أبي العوجاء كان يفسد الأحداث بالبصرة فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتدخله دينك فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاما أتى فيه على نفسك فلحق بالكوفة.
فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه.ونرى واصل بن عطاء أنه في ثبوت ما يشهد على إلحاد بشار بن برد يقول)(. : »أما لهذا الأعمى الملحد المكنى بأبي معاذ من يقتله «.وتعاون واصل واتباعه من معتزلة البصرة أمثال عمرو بن عبيد على طرده من مدينتهم وكان الخوف قد بلغ من بشار فبارحها وظل غائبا عنها حتى توفي عمرو بين عبيد خليفة واصل سنة)145 ه ٧٩٢ م( )(.

المبحث الثالث

دور المعتزلة في نشر الفكر الاسلامي و مواجهة عقائد اليهود والنصارى

لقد جاء الدين الإسلامي عقيدة وعمل فالعمل هو جملة من الأعمال التي يؤديها الفرد المسلم كالصلاة والزكاة والحج وغيرها وهي ما تعرف باسم فروع الدين والعلم الذي يختص بدراستها هو علم الفقه ويسمى الشخص الذي يهتم بدراسته الفقيه)(.أما بالنسبة إلى العقيدة فهو ما عقد في القلب دون القيام بعمل كالاعتقاد بأن الله واحد وأن بعث الأنبياء واجب وأن الله يبعث من في القبور فهذه المسائل وغيرها تسمى أصول الدين والعلم الذي يهتم بها يسمى علم الكلام)(.الذي اهتمت به الفرق الإسلامية كالمعتزلة والإمامية والخوارج والأشاعرة وغيرها .

وغيرها أما الخارجية فتمثلت بالصراع الفكري بين الفكر الإسلامي والفكر الأجنبي .)(. فمن المعلوم أن الدين الإسلامي دين أممي وأن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا أمميا لذا وجب إيصال تعاليم هذا الدين إلى البشرية جمعاء وقد بدء النبي صلى الله عليه وآله ذلك بإرساله الرسل إلى ملوك وأمراء عصره يدعوهم لاعتناق الإسلام)(. إلا إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي والدين الإسلامي لم ينتشر بعد إلا في أجزاء من الجزيرة العربية لذا وقع على الأمة واجب نشر هذا الدين فبدء ما عرف بالفتوحات الإسلامية وكان المسلمون يضعون أمام أهل البلد ثلاثة شروط :

الأول : الدخول في الإسلام وعندها يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بغض النظر عن اللون والعرق وغير ذلك .

الثاني : إن كان أهل البلد المفتوح من أهل الكتاب)(.أو ممن لهم شبهة كتاب فأجاز المسلمون البقاء على ديانتهم طبقا للقاعدة القرآنية)) لا إكراه في الدين (( )(و)) إن الدين عند الله الإسلام (( )(لكن شريطة دفع مبلغ مالي مقابل حماية المسلمين لهم يعرف بالجزية لأنهم غير مكلفين بالجهاد .

الثالث : القتال ,ونتيجة لذلك دخل تحت سيادة الدولة أعداد كثيرة من أبناء الأديان والأفكار الأخرى سواء معتنقين للإسلام أو بقوا على ديانتهم مقابل دفع الجزية ففي سوريا ومصر كانت الديانة المسيحية على اختلاف مذاهبها أما في العراق وفارس فكانت الديانات الفارسية كالزرادشتية)(.والمانوية)(. والمزدكية)(فضلا عن ديانات الصابئة والسمنية وقد كان لحاجة الدولة لهؤلاء أن عملوا في أجهزة الدولة فترقى بعضهم إلى أن أصبحوا من طبقة الكتاب بل الوزراء .

من جانب آخر كان لزواج الخلفاء والأمراء وكبار رجالات الدولة من نساء أولئك أدى لظهور جيل ينتسب من جهة الأم لشعوب أخرى فأصبح هؤلاء دعامة يرتكز عليها أولئك فضلا عن عدم اكتراث بعض الخلفاء والأمراء بالدفاع عن العقيدة الإسلامية كل ذلك وغيره كان سببا في حصول الاحتكاك بين المسلمين من جهة وأصحاب الديانات الأخرى من جهة أخرى فضلا عن أن الحرية الفكرية التي أجازها الإسلام كانت عاملا مساعدا في تجرأ أصحاب الأديان الأخرى على مهاجمة الدين الإسلامي من الداخل ولكن ليس بحرب عسكرية وإنما حرب فكرية .

من هنا وجب على مفكري الإسلام إيضاح حقائق الدين الإسلامي وان أقتضى الأمر الرد والدفاع عن الدين الإسلامي ومن بين أهم تلك الفرق كانت فرقة المعتزلة والتي حاولت أن تعالج كثير من المشكلات الفكرية التي واجهت المجتمع الإسلامي . ولكن ما المقصود بالمعتزلة وكيف نشأت ().

لقد واجهت المجتمع العربي الإسلامي مشكلات فكرية منذ أواخر القرن الأول الهجري فطرح بعض المفكرين إجابات لهذه المشكلات فإزاء مسألة هل الإنسان حر في أفعاله أم مقيد طرح غيلان الدمشقي)(.فكرة حرية الإرادة)(وإزاء كنه الله سبحانه وتعالى طرح الجعد بن درهم)(. مسألة نفي الصفات)(وكانت مسالة مرتكب الكبيرة تشغل بال الكثيرين فطرح واصل بن عطاء مسالة المنزلة بين المنزلتين . وهذه المشكلات لعبت عوامل داخلية وخارجية على إثارتها .

1_ مميزات الاعتزال :

الأولى: العقل مصدر للمعرفة : عد المعتزلة العقل هو المصدر المعرفي الوحيد إذ انه سابق للشرائع لان الشرائع موجهة لأناس عقلاء فلا تأتي الشريعة للصبي ولا المجنون لأنهما بلا عقل بل حتى السكران والنائم يرتفع عنهما تكليف الشريعة ما داما فاقدين للعقل.

الثانية: التأويل : إن فهم الشريعة يكون بالعقل لذا يجب أن تكون الشريعة مطابقة للعقل ولكنه

أحيانا نجد ظاهر الشريعة يخالف العقل هنا اضطر المعتزلة لصرف ظاهر النص الشرعي إلى معنى مجازي أي القول بالتأويل معتمدين على قوله تعالى))وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم(( )(. ولذا قالوا:))إذا تعارض ظاهر النص مع العقل فان العقل هو المرجح(( )(.
الثالثة: حرية الإرادة : إن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان العقل وهو امتياز عن باقي المخلوقات مقابل تكليفه . إذا فالإنسان مسؤول عن عمله وهذه المسؤولية تقتضي أن يكون الإنسان حرا في إرادته)(.

2_ دور المعتزلة في دفاعهم عن الفكر الإسلامي والذي تمثل في نشر الاسلام:

لم تكن الطريقة التي تمت بها الفتوحات الإسلامية تتناسب مع نشر الإسلام إذ في أقل من مائة عام وصل المسلمون إلى تخوم الهند شرقا والأندلس غربا ويظهر أن هذا المد السريع لم يتسن للمسلمين أن ينشروا تعاليم الإسلام بشكل متكامل إذ نجد أعداد كثيرة من الناس ممن انتسب للإسلام وهو لا يعرف شيئا عن تعاليم الإسلام فكان ترك الصلاة والتندر بها وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات التي كان البعض يدعي عدم معرفته بحرمتها لذا أخذ المعتزلة على عاتقهم نشر تعاليم الإسلام سواء للذين اعتنقوا الإسلام أو لأصحاب الديانات الأخرى .
ومن الواضح إن الكثير ممن اعتنق الإسلام لم يستطيعوا التخلص من عقائدهم القديمة ولم يتسن لهم أن يتجردوا من سلطانها لأن للمعتقدات الدينية على نفوس الناس قوة نافذة وهيبة عظيمة لا تزول بسهولة ولا تنسى بسرعة وربما قاموا بنقل بعض أفكارهم عن قصد أو غير قصد إلى المجتمع الإسلامي ومنهم من لم يعتنق الإسلام رغبة وإنما لم يجد بدا من ذلك فاظهر اعتناقه لغاية في نفسه إما طمعا في مال أو جاه يناله أو ليثأر لدولته أو دينه)(.
كان لواصل بن عطاء دور واضح في نشر الإسلام استدلاليا فقد دخل في جدال مع أتباع الديانة السمنية)(.
إذ تمكن من إقناع بعضهم فدخلوا الإسلام وذلك " ان بعض السمنية قالوا لجهم بن صفوان)(. : هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة قال : لا قالوا : فحدثنا عن معبودك هل عرفته بأيها قال : لا قالوا : فهو إذا مجهول فسكت وكتب بذلك إلى واصل فأجاب وقال : كان عليك أن تشترط وجها سادسا وهو الدليل فتقول : لا يخرج عن المشاعر أو الدليل فأسألهم هل يفرقون بين الحي والميت والعاقل والمجنون فلابد من نعم وهذا عرف بالدليل . فلما أجابهم جهم بذلك قالوا : ليس هذا من كلامك فأخبرهم فخرجوا إلى واصل وكلموه وأجابوه إلى الإسلام "(. ثم اخذ بإرسال دعاته لنشر الإسلام حسب الرؤية الإعتزالية فأرسل عبد الله بن الحارث إلى المغرب ويظهر أنه نجح في مهمته)(إذ اعتنق بعضا من أهل المغرب الإسلام وقد أشار السمعاني إلى ذلك قائلا :) الواصلية فرقة من المعتزلة وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال بالمغرب وهم شرذمة قليلة منهم في بلد إدريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور يقال لهم الواصلية (.
ومن دعاة واصل أيضا حفص بن سالم الذي أرسله إلى ترمذ)(. فاستقر في مسجدها إلى أن اشتهر أمره)(وهو الذي أشار إليه صفوان الأنصاري في قصيدته :

أما كان عثمان الطويل بن خالد أو القرم حفص ن هيه للم خاطر)(.

والى اليمن أرسل واصل أحد أتباعه واسمه القاسم بن السعدي وكذلك أرسل أيوب إلى ارض الجزيرة فيما وجه الحسن بن ذكوان إلى الكوفة)(, ولم يتضح ما الذي نتج عن هذه الدعوات !!
وقد أشار صفوان في قصيدة له امتداد الرقعة الجغرافية لدعاة واصل مابين الصين شرقا والسوس غربا)(. وكان لأبي الهذيل العلاف)(. دور واضح في دخول أعداد كبيرة من أصحاب الديانات الأخرى إلى الإسلام باستخدامه العقل أسلوبا في الجدال فاسلم على يديه ما يقرب من

ثلاثة آلاف شخص)(.

وكذلك نتيجة المناقشات الكلامية التي أبداها أبو القاسم البلخي)(. أعتنق عدد كبير من أهل خراسان الإسلام)(. وممن كان له شان واضح في نشر الإسلام من المعتزلة أبو عمر الباهلي)(الذي و صف بأنه أوحد أهل زمانه في علم الكلام والأخبار والمواعظ والشعر وأيام الناس ويظهر أنه اتخذ من الأسلوب القصصي الممزوج بالمواعظ منهجا له لتوضيح تعاليم الإسلام بأسلوب مبسط للناس إذ يوصف بأنه " كان أبصر الناس بالدعاء إلى الدين لا يكاد يسمع قصصه مخالف إلا لان له ")(. أذن نلاحظ تعدد الأساليب التي أتخذها المعتزلة لنشر الإسلام وإيضاح تعاليمه كاستخدام العقل منهجا في الجدال ومنهم من أستخدم المواعظ للإرشاد . مع ملاحظة التحفظ على الأرقام المذكورة في أعداد من دخل الإسلام على يد رجالات المعتزلة كونها وردت في مصادر المعتزلة فقط .

الرد على التصور اليهودي :

1 يذهب اليهود للقول " إن الله خلق آدم على صورته " . فذهبت المعتزلة للقول ردا عليهم : إن الله ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا لحم ولا دم)(.

2 يذهب اليهود للقول " إن الله ذو وفرة)(. سوداء أو بيضاء" . فذهبت المعتزلة للقول ردا عليهم : إن الله ليس بذي لون ولا طعم ولا رائحة)(.

3 . يذهب اليهود للاعتقاد أن الله ندم على طوفان نوح حتى مرض ورمدت عيناه فعادته الملائكة فرد المعتزلة بأن الله لا تجري عليه الآفات ولا تحل به العاهات)(.

4 . تصور اليهود أن الله قد استراح في اليوم السابع بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام فأنكر المعتزلة ذلك واعتقدوا بأن الله ما خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه)(.

الرد على التصور النصراني

يذهب النصارى للقول أن بإمكان تشخص الله أو أن الذات الإلهية جوهر يتقوم بأقانيم)(. أي صفات هي الوجود والعلم والحياة وهذا أدى إلى الاعتقاد باستقلال الأقانيم عن الجوهر والى اعتبار الصفات أشخاصا والى تجسد الأقنوم الثاني أقنوم العلم في الابن . فلمواجهة هذا الاعتقاد نفى المعتزلة وصف الله بأنه جوهر وعدوا الصفات هي الذات غير مغايرة لها فالله عند المعتزلة ليس شخص ولا جوهر ولا عرض . فصفات الله عند المعتزلة ليست حقائق مستقلة وإنما هي اعتبارات ذهنية وهذه الاعتبارات يمكن أن تختلف وجوهها عند النظر إلى الشيء الواحد دون أن يلزم عن ذلك التعدد في ذاته فيمكن أن نصف الجوهر مثلا بأنه متغير وقائم بذاته وقابل للعرض كذلك الذات الإلهية واحدة وتتعدد الصفات بتعدد وجوه الاعتبارات فيقال عالم ونعني إثبات علم هو ذاته ونفي الجهل عن ذاته ويقال قادر ونعني إثبات ذاته ونفي العجز)(فالله عند المعتزلة حي عالم قادر بذاته لا بحياة وعلم وقدرة زائدة على ذاته وهذا هو مقصود قول المعتزلة صفات الله عين ذاته أما من أثبت معنى أو صفة قديمة زائدة على ذاته فقد أثبت إلهين)(لأنه لو كانت الصفة مستقلة بذاتها زائدة على الذات قائمة بنفسها وذلك هو التصور المسيحي لتعددت الصفات الأزلية ومن ثم تعددت الآلهة)(.

وينكر المعتزلة حمل الصفات على أنها معان قائمة بالذات لأن ذلك يجعل الله جوهرا تلحقه الأعراض . وإنما يرى المعتزلة أن الله عالم وعلمه هو هو قادر وقدرته هي هو حي وحياته هي هو أي أن علم الله هو الله وكذلك الأمر في كل من القدرة والحياة فهي وحدة مطلقة بين الذات والصفات)(.

ونظرا لتحامل كتاب الفرق من خصوم المعتزلة عليهم من أمثال الأشعري ت)(والبغدادي)(

والشهرستاني)(. ولأن وجهة نظر المعتزلة لم تصلنا حتى وقت قريب إلا من خلال كتب الخصوم المتحاملين عليهم)(. الأمر الذي ألتبس على البعض من الباحثين المحدثين)(. والمستشرقين)(فردوا فكرة صفات الله عين ذاته إلى مصادر يونانية فمثلا قول معمر بن عباد السلمي : لا تفرقة بين العالم والمعلوم بالنسبة لعلم الله قد تأثر فيها بأرسطو)(, المحرك الأول عاقل ومعقول إلا أنه يمكن القول :

1 إن فكرة الإلوهية مضطربة في الفلسفة اليونانية وغير واضحة حتى لدى أكبر فلاسفتهم كأرسطو بينما بلغت ذروة ما بلغته من نضج في دين سماوي كالإسلام فكيف إذن لفرقة كلامية تدافع عن دينها تدع ما جاء به الدين لتقتبس من الفلسفة اليونانية أضعف جوانبها !.

2 لا بد من تفهم ظروف وملابسات أقوال المعتزلة إذ كانوا في الصف الأول دفاعا عن الإسلام ضد الديانات والفلسفات والأفكار الأخرى فالموقف الذي تفرضه الخصومة أن تصاغ الآراء على نحو معارض ومخالف تماما لمعتقدات الخصوم فان اتهمت اليهودية بالتشبيه والتجسيم تطرف المعتزلة في التنزيه وان قالت المسيحية بالتثليث نقض المعتزلة هذا الاعتقاد بتصور وحدة مطلقة بين الذات والصفات وان كانت فرق إسلامية قد تساهلت في التشبيه) المشبهة (أو يوصف الله بأنه جوهر) فلاسفة الإسلام (فلأنهم ليسوا في موقف مواجهة مع الخصوم .

إن الموقف المعتزلي يفرض إذا تصور الإسلام على أنه تعديل لديانتين سماويتين قبله : تعديل لليهودية في تشبهها الخالق بالمخلوق أو إضفاء صفات إنسانية على الله ومن ثم ألتزمت المعتزلة بالتنزيه المطلق لله وتعديل للمسيحية في تشبيهها مخلوق بالخالق أو إضفاء صفات الإلوهية على الإنسان . ومن ثم ألتزمت المعتزلة بوحدة مطلقة بين الصفات والذات .

3 لا ننكر تأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية وهذا ما سنشير إليه في تضاعيف هذا البحث في دقيق الكلام)(أما جليل الكلام)(. الذي يتصل بالله وصفاته فذلك ما يمكن استبعاده تماما)(.

الخاتمة

ظهرت المعتزلة كفرقة دينية في عهد الدولة الأموية في بداية القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي وفي العصر العباسي تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان هما: مدرسة البصرة ومدرسة بغداد وقد غلب على هذه الفرقة اسم المعتزلة وأهل العدل والتوحيد وهناك أسماء أخرى عديدة سموا أنفسهم بها أو أطلقها الغير عليهم نكاية بهم كما أن هناك أسماء أخرى لهم مقتصرة على فرقة أو مشتقة من عقيدة ثانوية من عقائدهم.

وقد اختلف مؤرخو الفرق حول الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة ولكن يبدو أن روح المعتزلة كانت لها جذور في أحداث الفتن التي وقعت منذ حرب الجمل ومن ثم فإن المعتزلة المتكلمين امتداد للمعتزلة السياسيين الذين وقفوا موقف الحياد في النزاع بين أنصار على ومعاوية ثم بين أنصار ذرية على والخلفاء الأمويين فيما بعد وأن اسم الاعتزال مذهب ذو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس الى آخر.وللمعتزلة أصول خمسة هي: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت هذه الأصول وليدة للمناقشات التي تقوم بينهم وبين مخالفيهم. مما مر يتبين لنا عظم الجهود التي بذلها رجالات الاعتزال في الدفاع عن الفكر الإسلامي بطريقة عقلائية رائدهم الدليل العقلي وهو خير سلاح لمواجهة من لا يقر بالقرآن ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لذا مثل المعتزلة خصيصة بل من أهم خصائص الحضارة العربية الإسلامية. خالف المعتزلة السلف في فهم العقائد وكانت طريقتهم في فهمها عقلية خالصة وعملوا على تطبيق الأحكام العقلية على العقائد الدينية وكانت أصولهم الخمسة وما تفرع منها من آراء القاعدة الأساسية في محاوراتهم مع النصوص سواء كانت قرآنا أو سنة فكان ما يعارض مبادئهم من آيات يؤولونها وما يعارضها من أحاديث ينكرونها وقاموا بتأويل الآيات التي تثبت الرؤية لله وآيات التجسيم والتشبيه والآيات التي تقول بالجبر والقدر وكان موقفهم

من الحديث كثيرا ما يكون موقف المتشكك في صحته وأحيانا موقف المنكر له لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل وقالوا عن الأحاديث التي توحي بالجبر أنها رواية آحاد وخبر الواحد لا يؤخذ به في أصول العلم وذهب المعتزلة إلى جوازوقوع الكذب في خبر المتواتر من الحديث. أما موقفهم من الصحابة فقد وضعوهم في موضع عامة الناس يخطئون ويصيبون ويصدر عنهم ما يمدح ويذم ولم يسلم بعض الصحابة من سب المعتزلة. واتهم المعتزلة الفقهاء والمحدثين في دينهم في وقت أن صارت لهم قوة في الدولة العباسية واستغلوا نفوذهم في بلاط الخلافة فأنزلوا بالفقهاء والمحدثين الاضطهاد والحبس. وكان من الطبيعي أن يتخذ الفقهاء نفس الموقف وأن يكيلوا لهم الصاع صاعين حين تهيأت لهم الفرصة بعد زوال نفوذهم حيث أظهر السنة ونهى عن القول بخلق القرآن وأجرى الأرزاق على الفقهاء والمحدثين وشن الفقهاء الغارة على المعتزلة وآرائهم.

الهوام ش